

المقولة والطرّاز مقارنة في الدلالة العرفانية

(زرايب العبيد) لنجوى بن شتوان أنموذجاً

طاهر محمد بن طاهر

ثريا محمد الشفطي

جامعة مصراتة - ليبيا

مدخل:

يعد النموذج الطّرّازي للمقولة الذي قدّمته روش ضمن أبحاثها التجريبية، أهم ما قدم في نظرية الطراز، حيث كشفت من خلالها عن ظواهر مقولية لا تتناسب مع النظرية الكلاسيكية، كذلك ما قدمه (جورج لايفوف) في كتابه (نساء ونار وأشياء خطيرة)¹ الذي يعد من أهم الكتب اللسانية المؤسسة لانتقال المنوال الطّرّازي للمقولة من حقل علم النفس إلى حقل الدراسات اللسانية ذات التوجه العرفاني، الذي أصبح المنوال الطّرّازي الذي يمثل في إطارها عماد الدراسة الدلالية للمعنى المعجمي، حيث أسهمت النظريتان في الإجابة عن أسئلة من قبيل ما العقل؟ وكيف نفكر؟ وكيف نجعل تجاربنا ذات معنى؟ كيف نتمثل العالم من حولنا؟ وما هو نظامنا التصوري؟ وكيف ينتظم؟ وكيف نموقله؟ وهل يستعمل الأفراد النظام التصوري ذاته؟ ما الطريقة التي يمارس بها المبدع الإبداع عبر اللغة؟

بذلك أسست هاتان النظريتان لرؤية جديدة تقنّ علاقة العرفان باللغة في مستوييها الواسع والضيّق، كذلك علاقة الفكر بالإبداع والخيال والمعنى²، حيث اهتمت هذه المناويل الجديدة بظاهرة المقولة ضمن علم الدلالة ووصلت إلى نتائج في غاية الأهمية.

¹ Lakoff George, 1985, *Women Fire and Dangerous Things What Categories Reveal about the Mind*, The University of Chicago Press.

² محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2009، ص 7.

وبذا فموضوع علم الدلالة هو البحث عن المعنى، فالمعنى مسألة ترتبط بما هو دال بالنسبة إلى الكائنات التي تقوم بعملية التفكير وتسعى إلى أداء وظائف محددة، إذ تمثل طبيعة الجسم المفكر والآلية التي بها يشتغل داخل محيطه³. فعلم الدلالة وفق هذين المنظورين هو البحث عن المعنى، وبهذا توصل علم الدلالة العرفاني مداخل يمكننا مقارنته بها باعتبارها تشكّل ركائز أساسية، فعلم الدلالة نظرية في المقولة التي "تؤسس لكل ممارساتنا الإدراكية وتحكم نشاطاتنا"⁴، فالمقولات التي تشكلها تمثل جزءاً من تجربتنا، ومن ثم تتصرف أجسادنا وأدمغتنا إليه باستمرار، كذلك علم الدلالة العرفاني نظرية في الخيالي بمعنى أن التصورات موجودة داخل تجربتنا بطريقة غير مباشرة تستخدم آليات استعارية وتصورات ذهنية ومجاز مرسل، فالخيال هو جوهر المعنى والتفكير، فهو يبين جزءاً كبيراً من نظامنا التصوري، كذا علم الدلالة نظرية في المعنى المتجسد؛ فجميع البنى التي نستعملها تتولد عن تجربتنا الجسدية وتجاربنا الفيزيائية والاجتماعية، أي حضورنا الجسدي في الزمان والمكان، فنحن نقوم بتصنيف عالما وترتيبه وتبويبه، فالأشياء في العالم ليست مستقلة بعضها عن بعض بل هي مشابهة لأشياء أخرى، ومن ثم فهي تنتمي إلى أصناف وأنواع⁵.

وبهذا تعد المقولة عملية ذهنية تقوم على ضم مجموعة من الأشياء المتنوعة في صنف يجمعها، فأفكارنا وإدراكاتنا وحركاتنا وكلامنا نشاطات تقوم على المقولة، فالمقولة تولد مع الإنسان وتصاحبه في حياته حتى الموت، فهي عملية ذهنية تعكس التفاعل بين التجربة النشيطة والنماذج المؤتملة، وبذا فالمقولة في نظر الاتجاه الموضوعاتي تتم بواسطة الشروط الضرورية والكافية بين أفراد

³ جورج لايفوف، نساء ونار وأشياء خطيرة: ما تكشفه المقولات حول الذهن، ترجمة عفاف موقو من كتاب إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين مختارات معربة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، 2012، ص322.

⁴ المرجع نفسه.

⁵ ينظر: عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية مقارنة معرفية، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 2001، ص 135.

مقولة معينة، فالحدود بين المقولات صارمة؛ حيث تتساوى موضوعات المقولة، فليست هناك سلمية فيما بينها⁶، وهي شروط منطقية تكون بتبرير انتماء أولئك الأفراد إلى المقولة نفسها، وقد سمت هذه في الأدبيات العرفانية بمنوال (ش، ض، ك) الشروط الضرورية والكافية، وتعود هذه النظرية إلى أرسطو التي تقوم فرضيتها على أنّ مفهوماً ما يجمع عدداً محدداً من الشروط التي يكون مجموعها في الآن نفسه ضرورياً "أي ينبغي استفاؤها استقاءً كاملاً، وكافياً وليس من الضروري إضافة أي شرط آخر لينتمي شيء إلى المقولة الموافقة لمفهوم المعنى"⁷.

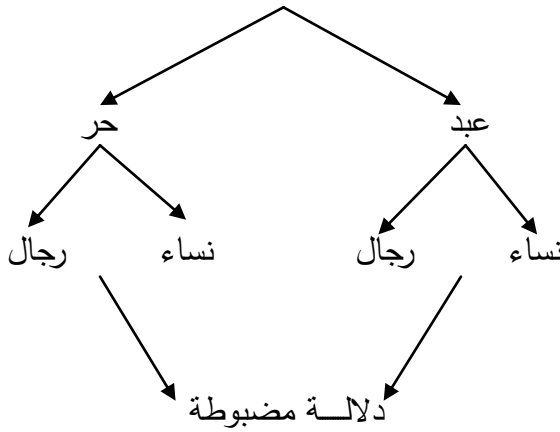
نحو نظرية عرفنية جديدة:

وإذا توقف المتأمل لتطور نظريات العرفنة التي استندت في تأسيسها إلى طرح أرسطو في نظرية الشروط الضرورية والكافية، فإن الإبداع يكون متجاوزاً لهذا الطرح، وبالتأمل والبدء في الاشتغال على المدونة مدار التجريب التي مثلت تصورا أساسيا لظاهرة العبودية، فإن نظرية (ش، ض، ك) تقف عاجزة عن إخراج نموذج متكامل لعنصر من عناصر وشخص مجتمعات العبيد، أو في المقابل مجتمع الأحرار؛ حيث لا مجال لانطباق الشروط التي اشترطتها النظرية الكلاسيكية، وأرقت معها المعرفة الإنسانية، وبذا هل يمكننا أن نضع من خلال الرواية (زرايب العبيد) الشروط الضرورية والكافية في أن يكون العبد عبداً والحر حراً، ولنفترض من عالم الرواية شخصيتين (جاء الله العبد) و(محمد بن شتوان) الحر، وهذا يحيلنا إلى تصنيف عالم الرواية إلى دلالات متساوية مضبوطة تنطبق عليها شروط العبودية والحرية.

⁶ عبد الإله سليم، بنيات المشابهة، مرجع سابق، ص 136.

⁷ أن رويول، وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2003، ص 144.

إنسان



وبالتالي يحدث التمايز في المقولات الذي يقودنا إلى سؤالين مهمين: وهو هل يستوفي كل شخصية من شخصيات الرواية جميع الشروط الضرورية والكافية؟ وهل يكفي اللفظ الواحد لتعيين أشياء مختلفة؟ ومن خلال المدونة (زرايب العبيد)، هل شخصية (عيذا) في عالمها العبودي هي أدخل في العبودية من شخصية (سالم) العبد. فاسترسال الصفات هو الشرط الذي يمكننا من ضم كيانات متنوعة مختلفة في مجموعة طرازية واحدة ففي الرواية وعالم الزرائب نجد شخصيات مثل (سالم جاب الله، صبرية، عيدة، درمة، يوسف...) منتمية لمقولة العبيد، إذ إنها تشترك في مقولة العبيد فهم يسكنون الزرائب، ويعانون القهر والظلم، ومن صفاتهم أنهم مملوكون، يؤدون الأعمال القاسية، والصعبة، يعانون الفقر، مستعبدون عند السادة، أو معتوقون لا زالت تطاردهم لعنة العبودية، هذه الصفات مجتمعة، تجعل لمفهوم العبودية معنى، فبعضهم مطيع راض وآخر حائق متمرد، إلا إن بعضهم يتميز عن الآخر في بعض الصفات، وآخر يحمل صفة من صفاتها، وبهذا فالمنوال الطرازي لم يستطع التخلي عن مبدأ تحليل المعنى إلى سمات دلالية، ولكنه حاول تجاوز سكونية المنوال الأرسطي واستبداله برؤية تراعي الصعوبة التي يجدها الإنسان في إحالة انتماء كيان ما إلى جنس دون غيره من أجناس الموجودات،

وبذلك فالمنوال الطرازي يساعدنا على التعبير عن حقيقة استعمال فكرنا البشريّ على مستوى تصنيفه وترتيبه للموجودات في العالم⁸ وبهذا فإن جوس Goes بدأ متوسلاً بمفهوم الطراز، ملاحظاً استرسال الوصفية بين أنواع الصفات من جهة وبين الصفة والأقسام القريبة منها من جهة أخرى، إلا إنه لم يستطع تجاوز هذه الملاحظة المهمة في حد ذاتها ومحاولة تفسير هذا الاسترسال⁹، غير أنه في الرواية نرى الكاتبة قد عنيت بالصفات لتمكن المتلقي التمييز بين المدركات في الكون، وبذا فمعنى الوصفية مسترسل ضمن وحداتها اللغوية ولكن بنسب متباينة، مستفيدة إما من الأوضاع اللغوية وإما من تحويل الدلالات الوضعية بما تقتضيه مقاصد المتكلم¹⁰ وسياق ومقام القول.

من خلال الرواية يشتمل الوصف المرجع نوعان الأول تام، وهو مسألة العبودية ومساءلتها، والثاني ناقص من حيث تسوير المدوّنة نمط العبودية الخاص وهو المكان الجغرافي المحدود (بنغازي)، وكيف أدار العبيد يومهم ودبروا شأنهم، ويمكننا القول أن العمل سلك في مرجعياته التمام والنقص، فالعبودية أنماط وأشكال، غير أن تحديد مرجعيتها من داخلها يجعلنا مطمئنين أن الوصف خلالها تكون مرجعيته واحدة¹¹، ونحن في هذا المقام نفترض فرضيات، منها: أن عالم العبودية مبهم لنا، وأن العمل بعكس هذه الخاصية لا يعدو أن تكون قضية فلسفية تحوي في جرابها الكثير من مفاهيمها ومصطلحاتها ومعمياتها، بدوره يحيلنا العمل ويجبرنا على الولوج إلى قضيته من خلال إدراك الشخصيات لواقعها وإدراكها للعالم من حولها والتعمق داخل نفوسها؛ ويكون العالم والإدراك مبهمين، كون اللغة ذاتها

⁸ ينظر: رفيق بن حمودة، الوصفية مفهومها ونظامها في النظرية اللسانية، دار محمد علي، ط1، تونس، 2004، ص428-429.

⁹ ينظر: المرجع نفسه، ص261-262.

¹⁰ ينظر: المرجع نفسه، ص696.

¹¹ أن روبرول وجاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة خالد ميلاد، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، 2010، ص401.

مبهمة، وهي ما تشكل في نمطها التداولي الإبهام كونها متعددة الدلالة وتظل مع ذلك نسبية، حتى وإن أبانت عن حقيقة، فهي ملتبسة، وهذل بدوره يقودنا إلى سؤال هل القضايا التي قدمتها الرواية ملتبسة، وأن إدراكنا لها يظل مبهمًا؟ أم أن الاستعمال اللغوي هو المبهم ولو في جزئه؟، هذه الفرضيات المختلفة هي التي تقود إلى سؤال التداولية¹²، ولهذا اتخذ هذا النموذج -وتحديدًا في خصائصه الأساسية- نقدًا جذريًا إذ يجعل كثيرًا من الموضوعات غير قابلة للتصنيف، وهذا بدوره يجعل سمات المقولة تطول لتشمل عددًا لا يحصى من الموضوعات، وبالتالي يكون النموذج عاجزًا عن تفسير حالات نظرًا لصرامته ويعدده عن المرونة عند تفسير الحالات، حيث أن أشياءنا وأحداث العالم وأوصافه ليست معزولة بعضها عن بعض، بل متفاعلة ومتداخلة ومتجاورة، وبهذا اقترحت (روش) وفريقها نظرية الطراز النموذجية¹³.

حيث بنت نظريتها على مبدئين: الاقتصاد المعرفي؛ إذ أن المقولة لا تقف على تصنيف وتخزين الموضوع ضمن مقولة معينة فقط بل الأمر بالنظر إليه على أنه مسار لموضوعات مقولته ومختلف عن موضوعات مقولة أخرى¹⁴.

المبدأ الآخر أن العالم الخارجي مبنين ومهيكل وليس عشوائيًا، وبالتالي عمدت النظرية إلى إسقاط هذين المبدئين على بعدي المقولة العمودي والأفقي، ولهذا اقترحت (روش) سلمية مقولية، لتصل إلى أنه ليست كل المستويات تعبر عن المقولة بشكل واضح، ومن هنا عمدت (روش) إلى تسمية مستوى قاعدي بالأساس، حيث تتراكم في هذا المستوى الموضوعات التي تحمل صلاحية مقياس عالية، وهذا المستوى بطبعه يعكس التجربة الإنسانية في قوتها وبنينة التجربة المبنية بشكل استرجاعي؛ أما المستوى الأعلى فهو يراكم صلاحية سمة ضعيفة؛ بحيث لا تتقاسم موضوعات هذا المستوى سمات مشتركة كثيرة، أما المستوى

¹² ينظر: المصدر نفسه، ص 402-403.

¹³ ينظر: عبد الإله سليم، البنيات المتشابهة، مرجع سابق، ص 133.

¹⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 135.

الأدنى وهو مستوى حشوي تتكرر أغلب خصائص المستوى ويصف سمات خاصة¹⁵، بالتالي شكلت المستويات الثلاثة دحضا لغياب التراتبية التي نادى بها نموذج الشروط الضرورية والكافية، وبهذا عد المستوى الأفقي دحضا للحدود الصارمة والثابتة بين المقولات في النموذج الأرسطي؛ لأن المستوى الأفقي تعلق بالبنية الداخلية للمقولة، أي بنسق الموضوعات داخل المقولة، وبهذا فالجديد الذي قدمته هذه النظرية أن موضوعات المقولة ليست ذات طبيعة نمطية نموذجية، فالذي يميز نظرية الطرازات النموذجية من النموذج (ش،ض،ك) أن الانتماء إلى المقولة يتم على أساس دحض الموضوع لسمة واحدة على الأقل واردة في الطراز، بينما يتم ذلك في نموذج النظرية الموضوعاتية على أساس فحص سمة تعتبر تحديدا للمقولة؛ وبالتالي أعطت نظرية الطراز المرنة، بمعنى أنه ليس بالضرورة أن تتقاسم سمات مشتركة؛ بل يكفي أن يفحص الموضوع سمة واحدة واردة في الطراز كي ينتمي إلى المقولة؛ فالعلاقة بين موضوعات المقولة تعكسها مشابهة عائلية، أي لكل مقولة بنية طرازية داخلية، وأن الحدود بين المقولات ضبابية؛ بمعنى أن جميع عناصر المقولة لا تشترك في الخصائص نفسها¹⁶، "فالطراز هو أفضل ما يمثل المقولة، ويعرف على نحو إحصائي بنسبة تواتره في الذكر"¹⁷، وبهذا فمقولة الطراز قد عرفت على نحو فضفاض، وهي مقولة ذات نواة واضحة أو ذات عناصر مركزية خاصة بالمقولة، لكن حدودها متغيرة بل غامضة¹⁸، وهو نقد جليّ واضح لنظرية الطراز عند (روش Rosch)¹⁹ ويمكننا القول أن

¹⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص 136.

¹⁶ ينظر: جاك موشلار، أن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، مصدر سابق، ص 418.

¹⁷ المصدر نفسه، ص 416.

¹⁸ وليام كروفنت، الأنماطية والكليات، ترجمة سمية المكي، مراجعة هشام الريفي، المركز الوطني للترجمة، دار سناترا، تونس، 2015، ص 281.

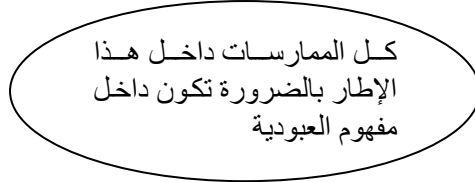
¹⁹ لمعرفة المزيد حول الموضوع راجع:

—Rosch Eleanor, 1979, *Principes of Categories Categorization In Cognition and Categorization*, N.J Lawrence Erlbaum Association, pp: 162.

"الطرزات خاصة مميزة للمقولة البشرية، وإن كانت اللغة البشرية تقتضي المقولة، فإن للطرز قيمة تفسيرية كامنة في اللسانيات"²⁰. مقولة العبودية في الرواية هي الأكثر إطراداً وهي التي تمثل الخصائص الطرزية كلها، وهي مدركة من قبل المستعملين، ويأمنون لها، ويدركون معناها ويهتمون بها أيضاً، ويكفي تردها وتوترها أن يعرّف بطرازيتها²¹، "وليس تظاهرة الطرزات التكاملية فريدة في الأنماطية اللسانية، فقد نبهت (روش) إلى أن الطرزات تنزع إلى أن تكون متباينة ما أمكن مع الطرزات المجاورة"²². بعد هذا يحق لنا التساؤل من العبيد داخل المدونة يمثل مقولة العبودية، ومن من الأحرار يمثل مقولة السادة؟

مقولة العبيد:

كل شخصية بمثابة عينة من مجتمع العبيد ممثلة حسب درجة انتمائها للعبودية لا يمكننا أن نضع حدًا بين المقولات، وليس ممكناً اعتبار أن العبودية تمثل تجربة احتواء، وكل من في إطارها تحتويه هذه التجربة.



عبودية

وبهذا فالطرز ليس شيئاً يحصل في الخارج ويمثل المقولة أفضل تمثيل، ولكنه صورة ذهنية وقالب جامد يقرن بالكلمة التي توافقه في المقولة، ويمكن اعتبار هذه الصورة بمثابة معنى الكلمة²³، ووفقاً للبعد الأفقي الذي تبنته نظرية

²⁰ ويليام كروفت: الأنماطية والكلبيات، مرجع سابق، ص 282

²¹ حاولنا تطبيق الفكرة الواردة عند جرينبيرغ وتطبيقها على الرواية:

—Greenberg Joseph. H, 1966, *Language Universals with Special Reference to Feature Hierarchies*, Janua Linguarum, Series Minor.59, The Hague. Mauton, pp: 68.

²² ويليام كروفت، الأنماطية والكلبيات، مرجع سابق، ص 285.

²³ جاك موشلار، وأن روبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 417.

الطراز، فالتشابه العائلي موجود في المقولتين، فكل فرد يشترك على الأقل بصفة في العبودية، ولو تلمسنا البعد العمودي، فالشيء بهذا ينتمي إلى مقولات مختلفة²⁴ لكن واقع تجربتنا الحياتية يظهر حالات الخروج عن الإطار وعن تجربة الاحتواء، ويصبح مفهوم الخروج عن العبودية في الرواية بتصرفات بعض الشخصيات عن قانون المقولة، تتحدث الكاتبة عن حالات خروج للعبيد عن أسيادهم فيما يعرف عند الليبيين بـ(البوري) وهي حالة غضب الإنسان الأسود وهيجانه الشديد²⁵ تلك الحالة تصيب العبد أو الأمة فتصبح الشخصية خارجة عن كل سلطة ورافضة لكل أمر، ومثال ذلك في الرواية في الفصل الذي عنوانه بـ(لا محمد لا علي) حيث السيد يعذب الخادمة ويعاقبها ويمنع عنها طفلها ويحبسها، وثورة سالم العبد غير المتوقعة: "النقط ساطورا من المطبخ واتجه ناحية السقيفة، رشقه في قفل الباب بقوة ... سالم لا يكسر مجرد باب مقفول، إنما يتعداه لكسر كلمة سيده الذي أقفله"²⁶، ولغرابية الموقف والخروج عن الإطار المرسوم للعبودية فإن الوشاية من السيد الصغير تصل على شكل استهجان مبطن: "العبد ركبه البوري يا بوي"²⁷ ويتحمل العبد راضيا النتائج المترتبة على موقفه من تأنيب ولوم: "يا عبد النحاس، أتعصيني؟ أمسكوا به!"²⁸ وتتألف جوقة المقولة عبر ردة فعل السيد الذي ترسخت مقولة العبودية في ذهنه: "سدده له السيد الضربات على وجهه بمعزقة حتى أدماه... تتجاسر على عصياني يا عبد العبيد! سأريك كيف أن الله لم يخلقك بعد"²⁹ إن المقولتين العبيد والأحرار ترسم عالما متباينا بينها فالسيد يرفض مبدأ الاشتراك في الإنسانية، ولو عدنا لنظرية الطراز وتبني البعد العمودي فإن:

²⁴ المصدر نفسه، ص 418.

²⁵ نجوى بن شتوان، زرايب العبيد، ص 32.

²⁶ المصدر نفسه، ص 257.

²⁷ المصدر نفسه.

²⁸ المصدر نفسه، ص 258.

²⁹ المصدر نفسه.

. يكون العبد ← إنسان يحب ويكره

. فالرتبة العليا ← العبد إنسان

فيكون بهذا (سالم) إنسان

الرتبة الدنيا يكون سالم عبدا عند آل (بن شتوان)، وكيف استطاعت الكاتبة من خلال السلمية السابقة التأليف بين المقولات، فالألفاظ الأكثر استعمالاً للإحالة هي الألفاظ التي توافق المقولات الأساسية.

خصائص المقولات الأساسية وتمثيلات في الرواية

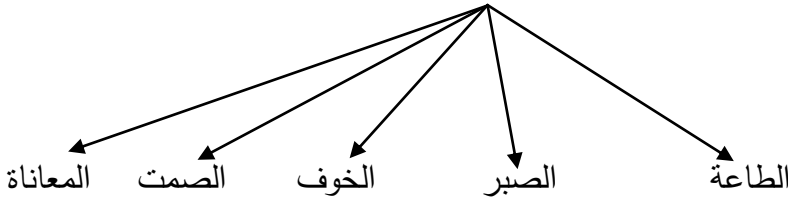
تمثيلات المقولات الأساسية في الرواية	المقولات الأساسية لنظرية الطراز
أ. مجتمع العبيد	1- توافق إدراك التشابه الإجمالي ومن ثم التشخيص السريع.
ب. ما الذي يدور في مجتمع العبيد والسادة	2- إذا كانت المقولة تجمع أنشطة فإنها توافق برنامجاً محرراً عاماً.
العبيد ومقولات الطاعة والشكر ومظاهر الاحترام	3- الكلمات التي توافق مقولة أساسية تكون عموماً أخف، وهي أكثر ما يستعمل وأول ما يتعلم.
كلما كانت صفة من الصفات أقل توزعا بين عناصر مقولات أخرى كانت صلاحية سمتها أقل.	4- هي المقولات الأكثر إفادة وإخباراً لأنها هي التي تشتمل على أكبر قدر من صلاحية السمة.

فالصفات المشتركة بين عناصر المقولة هي الأكثر صلاحية وسمتها أكثر، وكلما كانت صفة من الصفات أقل توزعاً من عناصر مقولات أخرى كانت صلاحية سمتها أقل³⁰؛ فالعناصر الأكثر تواتراً بمثابة خاصيات تعريفية للطرز، فكلما تواتر ذكر أوصاف العبيد وسلوكهم وحياتهم، كان النص أكثر وصفاً للعبودية.

³⁰ جاك موشلار، وأن روبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 418، 419.

وبذلك "فإنّ معيار التصور لقضيّة العبوديّة أو معدّل الطّراز تحصل منه الفائدة، بالاعتماد على درجات الاستقرار في العلاقة التفاعلية بين أفراد المجموعة"³¹، والكاتبة تبرز في سردها أهم وأفضل الخصائص المنمّجة لمقولة العبودية (تعويضة، جاب الله، صبرية، درمة، عيدة...) ويمكننا بهذا المعيار تصنيف شخوص الرواية وأيها يمثل طرازية أكثر وأكبر فشخصية جاب الله تمتلك خصائص نموذجية أكثر من شخصية (سالم) في عالم العبودية؛ فالأول أكثر استسلاماً وقبولاً بواقعه بينما يتمرد الآخر على واقعه، بل ينتقم من السادة³² يمكننا في ضوء ماسبق أن نقر -ونحن مطمئنون- أن الطراز في الرواية يمثل تصوراً ذهنياً عند صاحبه لا يتميز بخاصية محددة من عناصر المقولة، فشخصيات الرواية في مجتمع العبيد جميعها تشكل عنصراً من عناصر العبودية، ولم يكن رسمها له وتصويرها إياه تمثيلاً نموذجياً، فالرواية تقدم مفهوماً متعلقاً بالمعنى الأول للطراز الذي رسم وصور ويمكن وضعها على الشكل التالي:

طراز العبودية



ولكي نقرب أكثر من نظرية الطراز ونتبين مصطلحاتها، فإن الطراز هو شيء ذهني أو الخطاطة، أو الصورة العرفانية التي ترافق الكلمة ومنها تتم المقولة. العبودية تمثل أفضل مثال للمقولة وهي تعد طرازاً، وتحتاج إلى مقولات داعمة تكون على شكل تصورات يمثلها الطراز على النحو التالي:

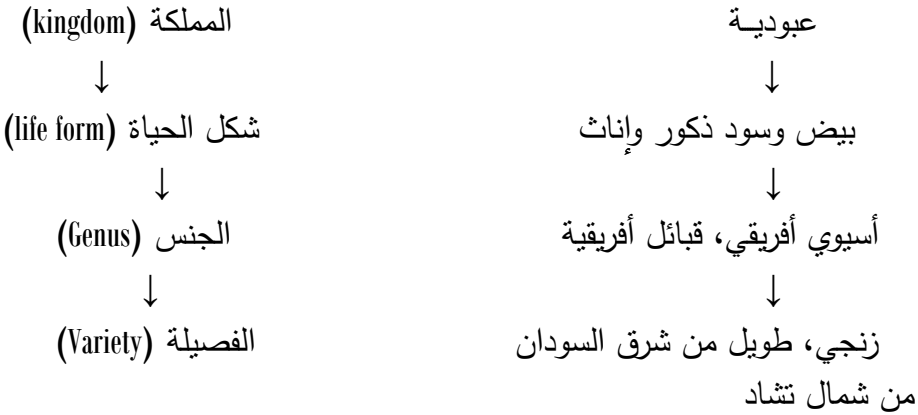
³¹ محمد صالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مرجع سابق، ص144.
³² في الفصل الذي عنوانته الكاتبة بـ(بعطس ويكج) ترصد فيه الكاتبة حالة ممارسة سالم العبد اللواط مع أحد أبناء السادة.

الطرز ← (العبودية) التمثيل الذهني ← (الصفات)
 معرفة الخصائص النموذجية (لكل شخصية من مجتمع العبيد)

↓

تتفق مع تصوراتنا

وهذا بدوره يحيلنا إلى الترسمة التالية التي تبين مستوى التصنيف الطرزي:



وبهذا أحدثت العرفانيون بالمقولة تحولاً نوعياً في مستوى فهمنا للعالم وفهمنا لذواتنا واللغة التي نتكلمها، ويعطي هذا التحول المشروعية لتساؤلات (فينجشتاين) عن المقولة في نظرية (أرسطو) (ش، ض، ك) التي وضعت حدوداً واضحة في حين أن بعض المقولات ليس لها خاصية مشتركة³³، ولنأخذ نموذج العبد والسيد، فبعض العبيد يشاركون السادة بعضاً من خصائصهم، وكذا السادة ينازعون العبيد بعض أخلاقهم، فسالم العبد نجده شهماً مدافعاً عن المظلوم: "قال له صوت في داخله: إنه جائع يا سالم ألا تحبه؟... لماذا تقف كالأبله لتتطعم مجموعة من الحمقى فيما روح ظاهرة نقية تقضي قربك جوعاً وأنت بوسعك نجدتها؟ ثم لم يعد يفكر في شيء آخر غير الطفل"³⁴

³³ محمد صالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مرجع سابق، ص 55.

³⁴ نجوى بن شتوان، زرايب العبيد، مصدر سابق، ص 256-257.

بينما نجد السيد يمثل القسوة وفقدان الإنسانية في تعذيبه لتعويضة الخادمة بل قتل رضيعها جوعاً أمام عينيها: "ورأته يربط تعويضة من يديها بالحبل في سقف الحمام وهي تنن ولا تستطيع الوقوف... عندما تعلقين كالذبيحة ستتذكرين ولن تنسي، هذه ليست المرة الأولى لك أيتها الكلبة... بنت الكلب ستسبب لي فضيحة"³⁵

غير أن مقولة العبودية أعضاؤها يتساوون فيما بينهم، وكذا مجتمع الزرائب كل يشبه الآخر بطرق مختلفة وليس لهم خاصية واحدة مشتركة، فعتيقة ابنة الجارية نموذج مركب لجيل مابعد العبودية، تسكن الزرائب هجين بين السيد والأمة لا تكثرث أو لا تريد الاكتراث بماضيها، تتساءل الرواية على لسان السيد علي ابن عمه عتيقة: "ماذا لو لم تشغفها شيء معرفة شيء مما يجري"³⁶ هكذا تساءل الجيل الثاني من مجتمع السادة، وتعويضة أم عتيقة التي أحبت السيد وعانت من أجله المر وتجرّعت الذل وبيعت في سوق النخاسة، ومارست البغاء مكرهة، ليحط بها المقام في زرائب العبيد منتحلة لاسم (صبرية)، تعيش مع ابنتها وتدعي أنها خالتها، ويمكن أن نستعرض شخصيات الرواية التي يظلها الانتماء لمجتمع العبيد سواء في البيوت، أو في الزرائب، فالمقولة الكبرى باعتداد العبد إنسان هي التي تجمع أنواع البشر، فهذا مفتاح دقيق لقيط بعيون زرقاء لفظه المجتمع وعاش بين العبيد يقاسمهم حياتهم وبؤسهم، فمقولتي العبودية والسيادة تتوسع في الرواية بشكل كبير، وليس هناك عنصر أهم من العناصر الأخرى، ولو توقفنا عند رؤية (أوستن)، الذي استثمر نظرية الطراز في كتابه المعنى في الكلمة، والسؤال المكرر، كيف يكون الاسم نفسه لأشياء مختلفة؟، وأشار أن للكلمة معنى نوويا أوليا، بينما تكون المعاني الأخرى معان موسعة³⁷.

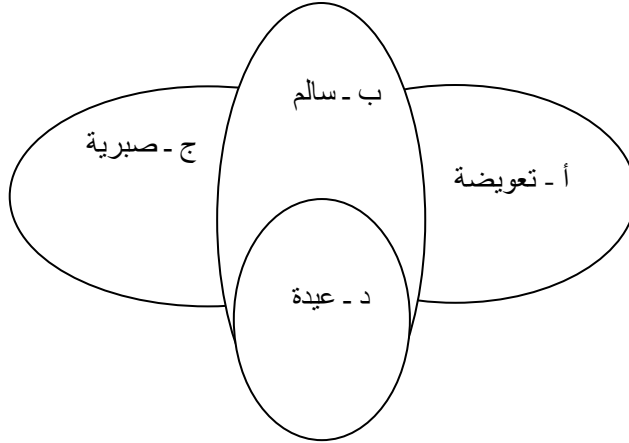
وبالتالي يمكننا أن نقسم عناصر العبودية، إلى مجموعة من العناصر (الشخصيات المتباينة تشترك في عنصر مركزي هو العبودية، التي تنتظم حول

³⁵ المصدر نفسه، 254.

³⁶ نجوى بن شتوان، زرائب العبيد، ص10.

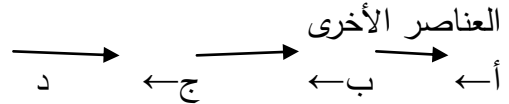
³⁷ Lakoff G., Women Fire and Dangerous things, p.19.

كل عناصر المقولة ولنمثل هنا ببعض شخصيات الرواية، ويمكن أن يحوي الشكل جميع شخصيات العبيد



خطاظة تبيين اشتراك عناصر المجموعة في مقولة العبودية سنتبين لاحقا درجة تمثلهم للعبودية داخل دوائرها، وأن كل عنصر يكتسب أهميته وأفضليته بطريقة تدرجية، من النموذج إلى الأقل نموذجية

نلاحظ أن درجة تمثله للعبودية يمثلها حجم الشكل نسبيا، ويشترك كل عنصر مع



حيث تشترك العناصر مع بعضها، ودرجة انتمائه للمجموعة يحددها امتلاك أكبر قدر من صفات المجموعة.

وإذا كانت نظرية الطراز تتيح لنا تفسير المبهم؛ لأنها تقدر بأن الحدود بين المقولات ضبابية في نفسها، فالخصائص النموذجية تعوض (ش،ض،ك) وبذا لا تخلو هذه النظرية من إشكالات، لأنها غير قادرة على معالجة المقولات المتعلقة بالألوان، كذلك وُصِفَتْ بأنها تحليلية باستبعادها القول بإمكانية القول بكلية بعض الخصائص، وبأنها تعمل على الأسماء أفضل من عملها على الأفعال والصفات،

كذلك وصفت بأنها غير متجانسة، بمعنى أن الخصائص النموذجية لا يشترط فيها أن تكون مشتركة بين جميع عناصر المقولة، وهذا بدوره جعل أصحاب نظرية الطراز يسعون لإنقاذها، فاقترح أصحابها اعتبار المقولات متساوية في طراز رتيبها، وبهذا تكون بعض المقولات أكثر طرازية وأكثر تمثيلاً لما عليه المقولة الطرازية من البعض الآخر، وقد عرفت بالصيغة الموسعة لنظرية الطرازات³⁸، التي بنت فرضيتها على خصائص في الإحالة، ووجود وحدة حدسية للدلالة، وبذا حافظت النظرية الموسعة على فرضيتين فحسب من النظرية النموذجية، ووجود تأثيرات طرازية بين المقولات والتشابه العائلي الذي يجمع بين عناصر المقولة، فلم يوجد ممثل أفضل للطراز، حيث الطراز ظاهرة سطحية تتعلق بالاستعمال ويتجلى في صور مختلفة بحسب المقولة³⁹.

بهذا حاولت النظرية أيجاد خاصية لكل عنصر يشترك مع عنصر آخر، وليس شرطاً أن تشترك جميعها في الخاصية نفسها، ويمكن وضعها في الترسمة التالية، باعتبار أن الرموز تمثل شخصيات من عالم العبودية:

أ	ب	ج	د	هـ
أب	بج	جد	ده	هـأ

وهكذا يمكننا استحداث عدد لا يحصى من عملية التباديل والتوافيق بين عناصر المجموعة.



من خلال الرواية نجد أن شخصيات الرواية تتقاطع فيما بينها في بعض الصفات التي بها يصنف العبد عبداً، فالطاعة والرّق وسواد البشرة، والصبر، والفقر، والاستسلام، والجلد، وسكن الزرائب، والعمل في المهن الصعبة، والرقص والكذب قد تكون صفات يحملها عنصر من عناصر المجموعة، لكن من الممكن أن تكون صفة واحدة تجعل من الشخصية تنتمي لعالم العبيد.

³⁸ ينظر: جاك موشلار، وأن روبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 67-68.

³⁹ ينظر: المصدر نفسه، ص 417.

البنية التصويرية لرواية (زرايب العبيد):

ينبغي أن نحدّد مجموعة من المبادئ الدلالية تخص سلامة البنيات الدلالية للرواية، ولذا لزاماً علينا معرفة المبادئ التصويرية التي تمثل دور الحاضنة للدلالة، ومن التساؤلات المشروعة البحث عن طبيعة هذه التصورات، وكيف لنا تحديدها؟ ثم كيف نشأت، وبنيّتها وكيف ارتبط بعضها ببعض⁴⁰.

لا ريب أن هذه التساؤلات تثير قضايا ثقافية ونفسية متنوعة ترتبط بالتجربة، وتقود إلى الارتباط المحدد للتصورات بين الثقافة والتجربة، التي لا توجد خارج إطارها الثقافي، فكل تجربة ترصدها الكاتبة تأخذ مكانها داخل إطار واسع من التضمينات الثقافية.

إن تجربة الرّق والعبودية تجربة ثقافية، وهي تجربة مع العالم، تحصل وتتم بشكل تكون الثقافة العامة حاضرة فيها باستمرار لتبني التجربة نفسها.⁴¹

فالتوسعات الكنائية في الرواية تعد المعين الأساس للتأثيرات الطرازية؛ التي كانت بمثابة معين للراوي ومساعدًا له لتقديم أفكاره وخلق المواقف والأفعال، وذلك كون الاستعارة استطاعت تمثيل أنساقنا التصويرية الفرعية والقيام بمهامها وإزاحتها عن مساراتها⁴²؛ ففي الرواية عنونت الكاتبة فصلاً كاملاً بـ (يعطس ويكح)، وهو كناية عن ممارسة الذكور لفاحشة اللواط، وفي معرض امتناع السيد (محمد بن شتوان) عن ممارسة زوجته، وعندما اشتكت لحماتها فعل أخيها، قامت الأخت بقلب الحذاء كناية على أنه يأتيها من دبرها، والكنائيات كثيرة ومتنوعة داخل الرواية⁴³

⁴⁰ Myrphy. G.L and Meden. D.L, 1985, *The role of Theories in Conceptual Coherence*, Psychology Review, pp.136.

⁴¹ Lakoff. G. and Johnson. M. 1980, *Metaphors we live*, by University of Chicago Press, pp.57.

⁴² ينظر: محمد غاليم، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1978، ص 98.

⁴³ نجوى بن شتوان، زرايب العبيد، مصدر سابق، ص 216، 221.

فمقولات الراوي في (زرايب العبيد) تتطلق من أبعاد إدراكية قامت على تصورها للأشياء، وأخرى تقوم على طبيعة التفاعلات وحركتها مع الأشياء، التي بدورها قائمة على بعد توظيفي ناتج عن تصور الكاتبة للأحداث، ولم يخف بعدها الغرض الذي يخدم موضوعها؛ بحيث ركزت على المواطن التي يصلح فيها استعمال الأغراض وتوظيفها⁴⁴ فلو توقفا عند أحد فصول الرواية الذي خصصته الكاتبة لحادث قتل الرضيع على يد السيد؛ فالحادثة لا تتجاوز بمقياس ذلك العصر قتل عبد رضيع، ومن تم استغلت الكاتبة الثقافة السائدة لتشكل حضوراً دائماً داخل الرواية، وهي كونها تُولف نصها، فإن إدراكها التحيني يجعل من القضية مصدر اشمزاز وتقرّر عند المتلقي، ومن خلال حركة الحدث داخل الرواية استطاعت الكاتبة أن تقيم تفاعلاً ضمن انسجام الحركة مع الإدراك فمن خلال ثلاثة فصول: (الطفل مقابل اللحم، لا محمد لا علي، قطعة منك خارجك)⁴⁵ استطاعت توظيف حادثة تقريب الخادمة في اللحم المعد للوليمة، وسرقة القطط له، أن تحيل المتلقي عبر أحداث درامية وحركتها مع الأشياء من حولها مستغلة طبيعة عالم العبودية والسادة، لتخلق أحداثاً يندغم الخيال والواقع محاولة توظيف الحادثة في غرض جلي واضح، وهو قسوة عالم العبودية الذي لم يرق للإنسانية حرمة، فتعذب الأم ويقتل الرضيع، ويكتشف السيد أن الرضيع هو حفيده، وأن القتل قطعة منه.

فالرواية بمقولتها طرازات الأشياء إنما تبني أشكالها التي بواسطتها يمكننا تحديد أبعاد كل بعد من أبعاد مأساة الرقيق، والخصائص التفاعلية لهذه البيئة. هذه الأبعاد التي خلقتها الرواية ليس بالضرورة أن تكون من خصيصة الشخصيات ذواتها، وإنما هي خصائص تفاعلية قائمة على الجهاز الإدراكي للراوي وتصوره للوظائف⁴⁶

فلغة الرواية مثلت الكيفية التي بنيت عليها الذات البشرية والقدرة على تأويل عالم العبودية وتجربة الرق، والتعبير لتمثلات الراوي الداخلية، وهي التي أنطقت اللغة، فهي ثمرة خالصة لخيال خصب؛ حيث استطاعت تمثيلها وكأنها فعلاً موجودة.

⁴⁴ Jackendoff, R, 1985, *Information is in The Mind of The Beholder, Linguistic and Philosophy*, pp.25.

⁴⁵ نجوى بن شتون، زرايب العبيد، ص 243-268.

⁴⁶ Ibid, pp.25.

فالنسق الذي سارت عليه الرواية حدّد جانباً من الكيفيّة التي تحدّد التّصوّرات داخل نسقنا التصوري، كذا أسهم الاتساق والانسجام في عالم اعتمد الاستعارة والكناية في تمثّل عالم الرواية.

وإذا كان المنظرون والنقاد عدوا الرواية عملاً تخييلياً يشتغل فيه جهاز الخيال، إلا أن هذه التمثلات في الأعمال السردية نراها حاضرة، ليست فقط على مستوى اللغة، ولكن أيضاً على مستوى الفكر، وربما الفعل، فلا غرو أن يكون التخييل السردى له ما يقابله في مجالات حياتية مختلفة.⁴⁷

فالراوي يستعير عالم الرواية عن طريق مقابل حقيقي غير استعاري؛ ليخلق وباستمرار تحفيزاً يعمل على إبداع مشابهاً تتجدد متألّفة متجاوزة، تعطي لتجارنا الكونية بنيات متسقة، فلم يعد العمل الروائي عملاً لغوياً خالصاً منعزلاً عن الحياة الفكرية والاجتماعية، ولعل من نافلة القول أن الكيانات المتشكلة في بناء الرواية تحمل خصائصها الذاتية في استقلالية تامة عن باقي الكيانات، ف (تعويضة) الخادمة في بيت السيد ليست هي (درمة) الزنجية اللاهية العابثة، وليست سالم العبد المخصي الذي يمارس اللواط مع ابن الفقيه ليس هو جاب الله المستكين لعبوديته المتحرش ببنات جنسه.

فالرواية بُنيت على تصوّر عام ينطلق من تصور ذهني، ليس بالضرورة أن يكون متوافقاً مع التصور الذي يتبناه المتلقي، أي بين اللغة والعالم، والمعرفة ليست إلا بناءً ذهنيًا، واللغة والإدراك والمعرفة أشياء ترتبط فيما بينها، وتتبع بعضها بعضاً، ولا يمكن فصلها، وهذا أمر يضيف أهمية للعمل مجال الاشتغال، ويعطيه دوراً، سواءً على مستوى اللغة أو الفكر، وربما يلغي الحد الفاصل بين ما هو حقيقي وما هو تخييلي في عالم السرد.

⁴⁷ يتحدث سادوك في المقولة السابقة عن الاستعارة على وجه الخصوص ، وبما أن الاستعارة تخييل ، وكذا السرد فقد تبيننا الفكرة وطبقناها على السرد على الرواية على وجه الخصوص ينظر :

- Saddock. J. M, 1979, *Figurative Speech and Linguistics*, Ortong, pp.46.

فالعملية السردية تحاول بناء صرح للمعنى في الرواية التي تمثل تصورا بنائيا تكفل به الراوي، فهي لا تحاول الكشف عن عالم العبودية بقدر ما هي حالة بناء لعالمها التصوري من خلال شخصية رئيس يرفدها أعوان داخل النص، فالحقيقة والخيال لم يعودا إشكالا، كون اللغة في حد ذاتها نشاط إبداعي، وكذا فهمنا لها، فالرواية وإن كانت استعارية في بنائها فإنها تكون أكثر إبداعية من لغة الحقيقة (فلو تصورنا كتابا يكتب عن العبودية في بنغازي) ويبقى الفرق بين الإبداع والتاريخ كميًا وليس نوعيًا⁴⁸ بحيث لم تعد قضية الصدق والكذب يعول عليها، بل المعول عليه هو التّصور الذي يقدمه العمل السردية، وصدق التراكم الدلالية اللغوية؛ بل إن تصورات المتكلم وحاجات المتلقي أو المستعمل للنص هو من يحكم صدق القضية من كذبها، فهي تعد صادقة أو كاذبة موضوعيا في العالم الواقعي⁴⁹.

فالسرود والرواية المتغيّاة لهما القدرة على خلق واقعا، ومن خلالها يستطيع المتلقي فهم تجربة العبودية، لتصبح واقعا عميقا يحدث تغييرا في النسق التصوري لموضوعها الذي يقوم عليه نشاط المجموع، فلا مرأ في أنّ تغييرا يلحق بالنسق العام وبإدراكنا والموضوع الذي توطّره، فالتغيرات الثقافية هي من تدخل تصورات تخيلية جديدة، محاولة ردم وإخفاء القديمة منها.

إنّا أمام عمل تخيلي لا يهتم اللغة فحسب ولكنه أداة لبنينة النسق التصوري وعلاقاتنا، والتبدلات التي يدخلها الإبداع، محاولة لتغيير ما هو واقعي، وبالكيفية التي ندرك بها القضايا، وربما العالم من حولنا⁵⁰، الأمر الذي يجعلنا نقر مطمئنين أن العلاقات والتشابهات والمجاورة التي سلكها النص والواردة تمثيلا للتصورات التخيلية إنما يتحدد إدراكها وكيفية التعامل معها إنما يتبع النسق التصوري العام، وبذا يكون العمل التخيلي تصوريا في طبيعته، والمعنى كذلك، وتكون صدقية السرد تابعا لنسق تصوري معين يكون التخيل جانبا واسعا فيه.

⁴⁸ Ortony, A. 1979, *Metaphor, A multidimensional Problem*, Cambridge University Press, London, pp.1-2.

⁴⁹ ينبغي ملاحظة أن الكتب المستعرضة في هذه الجزئية تتحدث عن الاستعارة والكناية وقد طبقناها على السرد الروائي باعتداده عملا تخيليا يلتقي مع البلاغة، وحاولنا تطبيق رؤية جاكندوف في كتابه: *Information is the Mind of the beholder* مرجع سابق.

⁵⁰ Lakoff, G. and Johnson, M., *Metaphors we Live*, Op.cit, pp.146.

التصور وبنائه داخل الرواية:

المتلقي للرواية والعمل على وجه العموم يدرك أن مبادئ حاکمة للعلاقة التصويرية يستند عليه اتساق بعضا من النسق التصوري، الذي بدوره يوظف أنساقا فرعية معرفية وإدراكية؛ فالمبادئ التصويرية داخل الرواية تنتصف بالعمومية، تتوافق وتتسق مع الأنساق المعرفية والإدراكية واللغوية، استطاعت تجديد ترابطاتها باستمرار من خلال بنية الأحداث وعلاقة الشخصيات وخلق فضاءها الحاوي في زمن تاريخي معين، وهي بذلك تخلق نسقيتها التي تنتظم تحتها مبادئ تحدد العلاقة التصويرية وعلاقتها بالأنساق الدالة على العموم، فالرواية انطلقت من نسق عام ممثل في العبودية وقوانينها، لكنها كان لها نسقها الخاص متنوع الدلالة، فنسق العبودية رغم كونه ركب على نسق فرعي معين يصور حياة العبيد في الزرائب، والعلاقات البينية داخل مجتمعه، وعلاقتهم بمجتمع الأحرار، وآليات كسبهم لرزقهم، والحالة الإنسانية المزرية التي يعيشون فيها، فإن هذه الحالة والوضع يمكن أن يكون منطبقا على مستويات أخرى في مجتمعات وثقافات مختلفة، فالكلية في النسق يكاد يكون طابعا للتصور النسقي للرواية.

لم تكن الأسس التصورية التي انبنى عليها النص إلا مولداً للدلالات، بمعنى أن هذه التصورات لمجتمع الرواية وهبت العمل إكانية أن يقيم ترابطات تصويرية، لم يكن للنسق العام (العبودية) أن ينتظمها من قبل.

استطاعت الرواية أن تخلق مبادئ نرتكن إليها، ليس من طبعها الخروج عن النسق العام؛ بل في مجمله موافق له، وبذا استطاعت أحداث الرواية أن توجد لعناصرها المشكلة طريقها للمخزون الحاوي للعناصر التي ينتظمها النسق، مما جعل للرواية معجما خاصا، ربما يستطيع الولوج عن طريق العناصر الناتجة وإدخالها النسق العام، لعل أولها عنوان الرواية (زرايب العبيد) كذا عنوانات الفصول التي يرتبط بعضها ببيئة النسق العام ويثبت المرجعية الثقافية، على سبيل المثال: (أنا خيط وهو حيط، وتمر الأصابع، ساسي يأتي وسقاوة تذهب، عبد وجمل وغياب، دكاكين حميد عبده لجاب الله وتعويضة لسالم، يعطس ويكح،

(البوري...) إلى جانب توظيف الشعر الشعبي والغناء، تصور به مشاهد الفرح والحزن والألم ففي لوحة درامية ترسم أفق حالكا لمصير العبيد الأطفال وهم يسبرون حفاة عراة يسوقهم الرجال الغلاظ الشداد، ليسقطوا طعاما للغربان، يصور حالة (بوقا) الطفلة المختطفة مع أخيها، وعجزه عن مواصلة السير داخل الصحراء: "التفتت بوقا لأخيها، رأت الغربان تستدعي بعضها وتحط على رأسه وتنقبه حياً، بينما هم يبتعدون، أغمضت لها عينيها فتاة سوداء من قبيلة أخرى، امتناعاً عن رؤية من يموت منهم حتى وهم يموتون مثله في جزء قادم من الطريق . كان ذلك أحد طقوسهم للعزاء.

صارت (بوقا) في كبرها تبكي كلما سمعت المرسكاوي يشيد بقدرة الله على الرزق:

يا خالق للطير قسامي ... سخر خزرت عين الدامي

يا خالق للطير سبولة ... زول عزيز انشاالله نطولة⁵¹

فالرواية التي غدت كيانا تصوريا مستقلا دالا على كيان تصوري آخر

على النحو التالي:

العبودية كيان مستحدث داخل الرواية ← العلاقة استنتاجية ← العبودية ككيان تصوري ثقافي.

فمن خلال الرواية نستطيع الوصول إلى استنتاجات تمثل قهر الإنسان، والعبث بكرامته، وانتهاك جسده وأدميته، واستعباده من خلال معاناة الشخصيات، إلى جانب استباحة النساء وخصاء الرجال... كل الاستنتاجات تملأ عالم العبودية، لكنها تكتسب معناها من خلال الثقافة السائدة في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهي منتظمة داخل أنساقنا التصويرية⁵².

من خلال هذه المعايير يمكننا تحديد بعضاً من الخصائص اللازمة في المبادئ التصويرية القائم عليها العمل، ومسألة الاطراد الذي يمكننا من وصف العلاقة بين كيانين تصوّرين: (العبودية ككيان تصوري ثقافي، والعبودية ككيان

⁵¹ نجوى بن شتوان ، زرايب العبيد، ص140

⁵² Eco Umberto, 1976, *Theory of Semiotic*, H.K.dian University Press, p.145.

مستحدث داخل النص)، العبودية في أفقها الاجتماعي الثقافي، وداخل نسق معين (السردي) وإمكانية امتلاك الخصائص. فالعبودية ككيان والسردي كنموذج صورته يعد عملاً استعارياً خالصاً، فالعلاقة القائمة بين الكيان والنموذج هي علاقة مشابهة. فصورة الأشخاص في الكيان، وصورة الشخص في النموذج تقوم على علاقة مشابهة؛ فالكيان ككل العبودية، وشخص الرواية تمثل كيانات تقوم على مبدأ المجاورة، الأمر الذي يستلزم إحداث ترابطات فضائية أو سببية أو زمنية لخلق النموذج، فنحن أمام نسقين يقوم الأول على كيان حقيقي ملموس هو العبودية في ميدانها الحقيقي، والثاني العبودية ككيان نموذج مثله الرواية. ولكي تخلق الكاتبة عالمها الروائي ويستقل كياناً قائماً؛ فإننا نراها سالكة مجالات تبني من خلالها صرح مجتمعا يقوم على مبدأ علاقة السبب بالمسبب والفعل بالمنفذ، والجزء بالكل، والوعاء بالمحتوى، والمالك بالملكية. أسباب عديدة جعلت من فعل العبودية فعلاً قائماً في كثير المجتمعات، والأفعال التي تصاحب هذا المجال تستند في انجازها إلى منفذين، وهناك علاقة يمكن أن توصف بعلاقة أجزاء الرواية بأكملها، فكل عنصر من عناصرها، شخصيات وفضاءات وأزمنة ووصف يرتبط الجزء بالكل، واحتاجت لصوغ محتواها إلى وعاء هو شكل الرواية بمحتوى له شروطه الأجناسية الخاصة، وبمالك يمتلك هذا المنجز، هو المؤلفة بكيانها.

لم تقم الرواية إلا على بناء تصوّري لكيانات استطاع الراوي أن يمثل بها كيانات أخرى (الحقيقة + الخيال)، فنحن نتعرف على النمط السائد للعبودية من خلال شخصياتها، ومن طرق العيش والعلاقة القائمة بين أفراد المجموعة، ومن خلال العيش داخل الزرائب وبيوت السادة، وما يجعل المتلقي منسجماً مع السرد بل متمثلاً له، هو كون الشكل القائم للعمل الأدبي يقيم ترابطاً بين عالم العبودية في بعده الحقيقي (التجريبي) وبين تمثله في الرواية.

يمكن أن نرصد من خلال ما يعرف بالسلم الطرازي نماذج مختلفة لحالات العبودية، وكل نموذج من الشخصيات يمثل نموذجاً منفرداً يفتك أمراً مشتركاً ربما يكون واحداً من الطراز الجامع وهو العبودية، فكل نموذج يرتبط بنظير له ضمن

مجموعة تشكل في مجموعها الطراز، تسمى هذه العملية عند جاكندوف -وحديثه عن الاستعارة- قواعد التوافق⁵³:



تمثل الخطاظة السابقة بعضًا من شخصيات الرواية كنموذج لسلسلة من الترابطات بحيث تشكل نسقًا تعاقبيًا يرتبط بقواعد التوافق، وقادر أيضا على تحديد تمثيلات كل نموذج وما تريد الكاتبة من دلالات من نمودجه فمثلاً:

أ. (صبرية) ورد ذكرها كطراز للعبودية⁵⁴، مربية ومشرفة على عتيقة⁵⁵، وهي نفسها (تعويضة) الخادمة عشيقة السيد، وأم ابنته، (عتيقة) أيضاً، وعليهما تقوم أحداث الرواية.

ب. (دومة) صديقة تصاحب (عتيقة)، تعدها نساء الزوج غير سوّية، تعاشر الرجال وتشرب الخمر، (دراكة)، مغنية عذبة الصوت، صغيرة، طويلة رشيقة، تجيد فنون الفرش، تغني المرسكاوي، تساعد المحتاج⁵⁶.

ج. (سالم) نموذج للعبد المطيع، لكنه يثور أحيانا على سادته، له مواقف إنسانية تحسب له، فهو بطل الكثير من المواقف في حادثة سرقة اللحم وقتل الرضيع⁵⁷، عبد مخصي، ينفذ أوامر سيده بكل حرفية.

د. (جاب الله) عبد مستكين لقدره، يمارس عادة التحرش بالفتيات الصغيرات من بنات جنسه، يقيم في زرائب العبيد، تعدّه الرواية عبد سيئ الخلق⁵⁸

هـ. (عيدة) زنجية تقيم في زرائب العبيد، تشتغل بمهنة الغسيل، وتجهيز العرائس والطبخ في المناسبات الاجتماعية، تعمل عند السادة، تحملت مسؤولية تربية عتيقة والاعتناء بها.

⁵³ Lakoff, G., *Women, fire, and Dangerous things*, Op,cit, p.100.

⁵⁴ نجوى بن شتوان، زرايب العبيد، ص24.

⁵⁵ المصدر نفسه، ص37.

⁵⁶ المصدر نفسه، ص38، 99، 100، 103، 105.

⁵⁷ المصدر نفسه، ص 243-272 وكذلك فصل الخرقه والدرويش ص278.

⁵⁸ المصدر نفسه، ص65-66-111.

و. (يوسف موسيبي) نموذج مختلف للزواج، تعلم في الإرسالية الإيطالية، يعمل ممرضاً ومترجماً، يرتدي الملابس الإفرنجية، يمثل الجيل الثاني لعبيد الزرائب. فالبنية التصورية أحالت على أشياء قابلة للتعيين، كونها ذات دلالة بقدرتها على تمثيل كيان آخر، بل إن النماذج المقدّمة اكتسبت القدرة على حمل المعلومات وتبليغها، لو خلل انتاب قواعد الاتفاق فإن خلا موازيا ينتج عن الميزة التمثيلية للكيان النسقي، ولذا كان لزاماً أن تحوي البنية تمكنها من وصف أنساق التوافق ويكون لها دراية بها.

فلم تعد الحقائق الماثلة بين الكيان التصوري (العبودية) والكيان التمثيلي (الرواية) افتراضاً لانطباق هذه التحولات النسقية لكيانات قد لا تتوافق في الوسط وبعض الخصائص، فالعلاقة علاقة مشابهة، يكون لانطباق التحولات التي تعترى النموذج باعتداده كياناً دالاً على كيان آخر، ولكي ندرك الشبه أو المشابهة بين الكيان والتمثيل، العبودية ككائن اجتماعي والتمثيل في الرواية، ولكي تحدث المشابهة، نفترض وجود نموذجية تمثل كياناً نتعرف من خلاله كياناً آخر؛ فالكيان النموذج وهو العبودية والرواية باعتدادهما تمثيلاً مشابهاً، فلكي تكون الثانية نموذجاً للأولى ينبغي أن يكون هناك تعالق، والأداة المستخدمة هي التحويل، ولكي تمارس الرواية دورها التحويلي كان لزاماً عليها أن توظف مبدأ الحذف على سلوك شخصياتها، فنشترك الشخصية حيناً في سمة واحدة من سمات النموذج (العبودية) وصفة لشخصية أخرى لتنظم هذه السمات المختلفة لتشكل في مجموعها السمات العامة للنموذج، وبذلك فإن أيّاً من شخصيات الرواية تكون مرتبطة بعلاقة مشابهة تقوم بين النموذج والكيان (الرواية والعبودية) ولو اقتصرنا على سمة واحدة، وبذلك فالرواية القائمة على المشابهة بين النموذج والكيان، هو الذي يفسر لنا عملية الإبداع وتجده في النماذج، وخلق أنساق جديدة لنماذج مشابهة للكيان الذي لا ينفك يبرز من خلال النموذج الدال عليه حتى وإن لم يكن النموذج له ما يقابله في عالم الواقع، بل إنها تكسب دلالتها بواقعيتها لكونها واردة في ثقافة وموروث المجتمع.⁵⁹

- Jakendoff, R, 1978, *Grammar as Evidence for Conceptual Structure*, Op.cit, pp.202.

⁵⁹ ينظر :

ولو توقفنا عند الخطاب الروائي في (زرايب العبيد)، وبنية النص؛ فإن أي عنصر من عناصر الرواية كالشخصيات والأحداث داخلها يمكن أن يكون عنصراً مكوناً للكيان الأساسي، فجميعها تشكل مجتمع الرواية، فالعبودية لكي تتحقق لابد من وجود عبيد وسادة، وفضاء تدور فيه الأحداث، قد يكون زريبة من زرائب العبيد، أو بيتاً فخماً من بيوت سادة بنغازي، وهكذا تفسح الرواية للعناصر مجتمعة أن تقدم السمات التي تجعل من الرواية النموذج مرتبطاً بكيان ثقافي تاريخي، فالتصورات التي قدمها النص هي التي يسرت للمتلقي التعرف على الكيان الأساسي من خلال العناصر، وتصنيف الكيانات داخل الحقل، ونقصد بذلك العبودية كشكل قديم العمل، ربما يمكن أن يكون نموذجاً لعبودية مخصوصة لما حدث في بنغازي، ولكن هذا لا يمنع من معرفة الحقل العام الذي تنتمي إليه وهو العبودية كحقل عام يحوي داخله مجموعة من الكيانات، يمكن تمثيلها بمجموعة من النماذج، ومن خلالها يتضح لنا المفهوم الذي يقوم عليه حقل العبودية، في علاقة العبودية في شمال أفريقيا بغيرها من النماذج القائمة للعبودية في أماكن متفرقة من العالم.

الدلالة المعجمية والبعد المفهومي في الرواية:

يندرج مصطلح مفهوم ضمن إطار "المعلومات الأولية الأساسية التي تمكننا معرفة الشيء، وهي معلومات قابلة للتوسع والنماء باستمرار"⁶⁰، وبالانتقاء على المدونة والعودة لعنوان الرواية (زرايب العبيد) فإن أسئلة تطرح منها: كيف ينظر النحو العرفاني للدلالة، وأنها لا تخرج عن كونها تصوراً، وأن المكونات اللغوية لعبارة العنوان كلها تصورات تتحى في مجملها صوب التواضع الاصطلاحي اللساني، وهذا بدوره يحيل المتلقي إلى مجموعة المعارف المتحصلة حول مكوناتها التركيبية، أملاً في وضع حدود لتصوره كي يؤسس له كياناً.

⁶⁰ عبد السلام عيساوي، الأبعاد التأويلية والمفهومية للدلالة المعجمية، مركز النشر الجامعي، منوبة، 2009، ص120.

فهل تنجح معارفنا التي نستقيها من مخزوننا الثقافي واللساني لحصار العنوان وسجنه داخل دلالة نحددها؟

إن كل ما يقال لا يصل أن يعبر عن حقيقة الرواية التي تمثل حقيقة العمل المائل، فالزرائب جمع زريبة وهي مشتقة من الفعل (زَرَبَ) الذي يقيدنا "زرب للماشية عمل لها زريبة"⁶¹، وهي حفرة الصائد وحظيرة الماشية⁶²، والعبد بمعنى رقيق، وتجمع على عبيد⁶³.

كلمة (زريبة) تحيلنا وفق تصوُّرنا إلى مكان توضع فيه الماشية، وتكون مرتعاً للعفونة، ونموذجاً للفوضى، فكيف يا ترى تكون صورتها بعد تعريفها بإضافة العبيد لها، إنه رغم ما قد قيل وما قدمه مخزوننا اللغوي وثقافتنا حول الدلالة المعجمية، لا تعدو أن تكون معلومات مقامية على صورة ما، لكننا محتاجون إلى حافز ليظهر المعنى.

قدمت الكاتبة من خلال التركيب النحوي جسراً لنقل المعلومات التي من خلالها تخلق التصورات، وكان اتكاؤها على المركب الاسمي الذي يحوي داخله:

الكم ← الزرائب، جمع زريبة
المادة ← زرائب العبيد

فالدلالة في التركيب الاسمي دلالة ممتدة في المكان وهي علاقة انتماء إلى قسم من الوجود الفضائي

بنغازي

↓

فضاء الرواية

↓

قسم من الوجود

↓

زرائب العبيد على شواطئ بنغازي

⁶¹ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط3، د.ت مادة زرب.

⁶² المرجع نفسه.

⁶³ المرجع نفسه، مادة عبد.

وهو المؤشر الأول إلى فضاء الرواية المكون والحاوي لأحداثها فكلمة (زرايب) تحيلنا إلى مكان محدود، فالزرائب لها حدود معلومة، وقابلة للعد والحصر، غير أن في واقع الزرائب لن يكون اهتمامنا منصباً إلا على عدد محدود منها التي تشغلها شخصيات الرواية، وهي حدود رؤيتنا لمجتمع الرواية، وهي بدورها ترتبط بالمجال الأوسع الموجودة فيه، وهو ما يجعلنا نميل إلى أن الكاتبة كان خلقها لمجتمع الرواية تصويرياً بحثاً، وعلى هذا نسند للزريبة وظيفة الزرايب مجتمعة، وهذا ما يسميه (لانجاكر) البنية الخبرية (Semantic Structural)، ولذا كان لزاماً في سير الرواية وفق المسار العرفاني (Cognitive Process) أن تسير الرواية وفق خطة الجمع المعرفي لوضع حد للشيء الموصوف كي تساعد المتلقي في بناء التصور، وكذلك موضعها في مجال ما يمكن المتلقي أن يستوعبه من مجال رؤية شخصيات الرواية، وما يقوم به الراوي، ليجعل للفضاء وجوداً مادياً، كذا يمكن أن يصل بالكلمة العبارة إلى مستوى من التجريد؛ ليخلق النص صورة عامة منها تشتق القيمة الدلالية للاسم (زرايب العبيد).

ولعل المستوى التجريدي للاسم هو الذي يضع الإطار للحد التصوري الذي يحوي مستويين: مستوى التجريد ومستوى الوظائف التي تسندها لكتلة الاسم (الزرايب)؛ ولذا سعت الرواية جاهدة إلى تحديد ماهية الكتلة في مجاهدة كاملة لجمع مختلف مكوناتها وتحديد الوظائف المنوطة بها، فالزرائب: سكن للعبيد، على شاطئ بنغازي، تجمع للملونين، مجتمع قائم بذاته متنوع، فيه العاملون بالمهن الصعبة والقاسية، مليئ بالأطفال القذرين، يمتاز بالفقر، ...

وإذا ما توغلنا داخل الزرائب فإن الوظائف التي تؤديها كل زريبة تكون مختلفة عن الأخرى، فهي حيناً ملتقى للعشاق، وهي مخبأ لما يتم سرقة، حيناً آخر، فيها تخبأ الأسرار، ويرسم الأمل، ويعاقب الصغار، ... ومن خلال مجموع الوظائف التي تؤديها المكونات مجتمعة، يجعل وسم العمل بالزرائب ككتلة، يعرف كيفها وكماها ونوعها، بعد أن تمت إضافة العبيد لها، وهو ما أسماه لانجاكر بالوظيفة الانعكاسية (reflection function).

كذلك جعل العنوان (زرايب العبيد) مكاناً له حدود، ويمكن عده، ومحاولة تسويره في الرواية باحتساب بعده الفيزيائي التصوري من خلال الرواية، فهي بذلك تعطي ما يعرف بالنمط المجسم. (Stereotype).

الفضاءات الذهنية ودورها في تنشيط الأطر الدلالية في الرواية:

تتواشج أحداث الرواية وتتمازج عبر فضاءين فضاء ذهني أو عبر إطار دلالي، فإن كان الراوي أنشأ ألفاظه وأبنيته التركيبية، فإنه دون شك اعتمد في صوغها على فضاءات مختلفة، تختلف باختلاف مكوناتها المعرفية، واستمدت الكاتبة ذلك من وقائع حقيقية وتخيلية، وبنيت حكاية روايتها على اعتقاد راسخ بوجود هذه الممارسات من خلال الثقافة السائدة، وما يتم تناقله، ودعّمت صوغها الروائي على فرضيات محسوبة، وهو وقوع الظلم، والعسف العنصري، واستعباد الإنسان لأخيه الإنسان، وسرق الجهد والعرق، ورغبة من الراوي فضح هذه الممارسات، وتصويرها عبر بعدها الإنساني المتمثل في الإنسان المغلوب والمقهور، في مقابل الإنسان المنكبر المتجبر الظالم القاسي، وكيف يمكن أن يجمع خيط الإنسانية بينها، وكيف يكون العبد سببا في دمار سيده والعكس (حالة تعويضة وعشقها للسيد محمد بن شتوان وما ترتب على ذلك من مصائب للسيد وما حل بالأمة من ويل وتبور)، كل ذلك يتم عبر تخيل محكم، حيث النسج المتقن للرواية تأثيثاً للأحداث والشخصيات والأمكنة، مع تلاعب بالزمن، في خطاب قصصي متقن، فمسارات الرواية ليس لها اتجاه، ولا تعتمد ترتيباً خطياً، والثابت في مسار الرواية هو الهدف الأكبر الوصول وهو إلى النهاية، وتمثل نقطة الانطلاق والوصول مسارا داخليا يعمل كوسائط للوصول للهدف.

ولإيضاح منهجنا للولوج إلى الرواية، فإن مدخل الإطار أو علم دلالة الإطار كما قدمه فيلمور، ونظرية الفضاءات الذهنية عند فوكيني⁶⁴.

⁶⁴ ينظر: عفاف موقو، دور الفضاءات الذهنية في تنشيط الأطر الدلالية للغة، ضمن كتاب، قضايا المعنى في التفكير اللساني والفلسفي، إشراف عبد السلام عيساوي، ص 683-684.

يمكن تمثيل العبودية باعتبارها مقولة تعرف بنيويًا بأنها نظام اجتماعي يحق للإنسان تملك إنسان والتصرف في حياته، إلا أن تعريفًا موسعًا تحيل إليه مجموعة المعارف الموسعة من حولنا تربطنا به، مثل: (السيد، العبد، الأمة، السيدة، السخرة، أماكن إقامة العبيد، أماكن إقامة السادة، بيع وشراء العبيد، سوق النخاسة، عمليات الزواج، العلاقات الجنسية بين السادة والخادمت، عادات العبيد، في الأفراح والأفراح...) الأمر الذي يحيل إلى كثير من الدلالات الحافة ضمن عناصر الإطار الذي تنتمي إليه تلك اللفظة، وهو الأمر الذي يؤطر للرواية دلالاتها.

المناويل الذاتية عند الراوي:

لعل المناويل الإطاري مع منوال الفضاءات يمتاز بالطابع الذاتي، فهي ذات طابع عرفاني؛ بمعنى أن الفضاءات قد تم تحديدها انطلاقًا من الأبعاد التجريبية لشخصيات الرواية، كما أنّ لها طابعًا أمثوليًا، بمعنى أنها لن تكون متماشية مع العالم الخارجي⁶⁵ ومنها استطاعت الكاتبة خلق عوالمها الممكنة، التي أقامت على أن وضعيات عالم العبودية التي رسمتها الكاتبة. تتحدد انطلاقًا من مشابقتها للعالم الواقعي، وهو افتراض وجود حقيقي لعالم العبودية، ووجود زرائب للعبيد، وكونها موجودة فعلاً، وأن جمعا من تجار بنغازي قد مارسوا فعل العبودية، وأن جموعًا من الملونين قد تم اقتناصهم من (بر السودان) ومن (برنو) ومن (تشاد)... حتى وإن لم يكن موجودا على الحقيقة إلا أنه يندرج ضمن عوالم الممكن الذي أعطى الفرصة للكاتبة أن تتيح للمتلقي دخول الرواية وهو يميز تمييزًا باننا بين العالم الواقعي من جهة والعوالم الممكنة من جهة أخرى، ولذا فإن المتلقي لن يرهق نفسه ويبحث عن تحققها في عالم الواقع، وليس المطلوب أن تكون الرواية موافقة لرغبات المتلقين، أو حتى حالتهم الذهنية.

⁶⁵ Lakoff. G., *Women, firem and Dangerous Things, What Categories Reveal about the Mind*, Op.cit, pp.125.

ولللخروج من هذا المأزق الذي يحيل المتلقي على إشكال فلسفي، تم اقتراح الفضاء الذهني عند (فوكوييني)⁶⁶ باعتداده بنية عرفانية لا تقتصر على فضاء الواقع الفيزيائي الخارجي، وإنما كيف يتمثل الذهن الواقع مستنداً في ذلك على فضاءات أخرى تعين أشكالاً أخرى، مثل الرغبة إن كانت من قبل الكاتبة، أو الرغبة التي ولدها عنصر الميل والحب بين السيد والخادمة، واعتقاد كليهما أنه صار رهناً للآخر، ولا يمكن أن يستغني أحدهما عن الآخر، وأصبحت الأحداث أو الوضعيات التي وصلت إليها شخصيات الرواية أو التي أوصلتها إليها الكاتبة، التي بدورها رسخت في ذهن المتلقي ومن قبله الشخصيات الفاعلة والمتكلمة ضمن أحداث الرواية، تلك الأحداث معلومة المكان والزمان، ولم تكن أبعادها ميتافيزيقية وغير محددة المعالم.

ولكي نتلمس الإطار الذي وضعته المؤلفة لروايتها؛ فإنها لجأت إلى مجموعة من المفاهيم التي تأسست على جملة من المعارف المبنية داخل نظامنا التّصوري، ومحاولتها المماهة بين المعنى والتّصور، وكذا التّصورات والتّداولية في سياق المقام والسياق، ولم يعد السياق عند الكاتبة إلا سياقاً ذهنياً يندرج داخل التّصور، وأن تصور الكاتبة لموضعها هو الأساس، بمعنى أن التركيب اللّساني لا يعدو أن يكون تأويلاً للتّصور، والتي بدورها تتبع من ثقافتنا، كيفية تجسّدنا في هذا العالم، وكيف ولدت بنيات مقولية عند الكاتبة⁶⁷، ولو اجتزأنا الرواية باعتبارها مجموعة من المعارف داخل نظام تصوّري جمعي، لوجدنا أن الإطار الذي رسمته الكاتبة من خلال ألفاظها خضع لوظيفة ذلك اللفظ وموقعه داخل التجربة الخاصة داخل المعنى الفني، والذي لم يعد الحديث عن شروط الصدق ذي جدوى، باعتداد المفاهيم مشتركة بين المتكلمين، ولذا فإن الأطر المكوّنة لتجربة الكاتبة ليست إلا تنوعاً تجريبياً، مثل تجربة اجتماعية جسدية استثمرت فيها آليات الخيال التي شكلت رؤية الكاتبة عبر بناء مقولاتها، حيث مقولات الكاتبة تمثل جزءاً من

⁶⁶ Fauconnier Gilles and Tunner Mark, 2002, *The Way we Think conceptual blending*, Basic Books.

⁶⁷ Fillmore Charles J, 1982, *Frame Semantics in Linguistics Society of Korea*, pp.111.

تجربتها، وعملية صياغتها لم تكن عملية عقلية خالصة جاءت نتيجة المعرفة، ولكن المقولات المستخدمة هي مادة التجربة، وهي جزء من التجربة الذي تتصرف إليها جسد الكاتبة وتفكيرها، ولذا ليس منصفاً. كما عند البنيويين أن نتغاضى عن دور الكاتبة في إنتاج دلالتها، وقدرة خيالها على خلق التصورات الدالة، وأن نسند للجانب العرفاني الدور الأكبر في إنتاج المعنى وتلقيه.

ووفق النظرية الحديثة للعرفنة⁶⁸؛ فإن العقل لم يعد مجرداً كما في النظرة التقليدية، فللعمل أسس جسدية، والتي بدورها أدخلت أبعاد العقل الخيالية؛ فالمعنى الذي تنشده الرواية متعلق بما هو دال بالنسبة للكاتبة وبالوظائف التي تتوخاها، فالعبودية جسم مفكر فيه، وبالطريقة التي يشتغل بها داخل محيطه يعد مركز الدراسة، ولأجل التميز بين عالم الحقيقة والعالم المسقط، أدخلت الكاتبة لغة واصفة حتى تيسر لنفسها الوصول إلى مرامها؛ إذ صار بمقدورها الحديث عن المعلومة الذهنية أو البنية التصورية لخلق عالمها المسقط، واستطاعت الربط بين عالم العبودية الحقيقي والعالم المسقط من خلال مجتمع الرواية خالقة شكلاً من أشكال التناظر بين العالمين وفق سياقات معقدة. من خلال محاور أربعة:

1. العالم الحقيقي (العبودية)
2. العالم المسقط (الرواية)
3. المعلومات الذهنية (ما تحمله الكاتبة حول موضوعها مشتتاً الحقيقة والخيال)
4. العبارة اللغوية (الصياغة بما في ذلك تقنيات السرد)⁶⁹

النتائج:

- . النموذج الطرازي للمقولة يعد عماد الدراسة الدلالية التي تقنن علاقة العرفان باللغة.
- . الخيال هو جوهر المعنى والتفكير، وهو الذي يبين جزءاً كبيراً من نظامنا التصوري.

⁶⁸ جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد الحميد جحفة، دار تويقال للنشر، ط2، 2009، الدار البيضاء، وينظر بالخصوص تقديم الترجمة التي تعد مدخلاً مهماً لدراسة الكتاب.

⁶⁹ لمزيد المعلومات ينظر: راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ترجمة عبد الرزاق بنور، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، 2010، ص90.

- المقولة عملية ذهنية، تقوم على ضم مجموعة من الأشياء المتنوعة في صنف يجمعها، وكذا إدراكاتنا وحركاتنا وكلامنا نشاطات تقوم على المقولة.
- نظريات العرفنة التقليدية المستندة على فكر أرسطو (نظرية الشروط الضرورية والكافية) لم تعد قادرة على تفسير الإبداع.
- استرسال الصفات هو الذي يمكننا من ضم كيانات متنوعة مختلفة في مجموعة طرازية واحدة (عالم الزرايب) وشخصيات الرواية.
- الرواية محل الاشتغال سلكت في مرجعياتها التمام والنقص.
- ليس بالضرورة أن تتقاسم المقولة سمات مشتركة، بل يكفي أن يسم الموضوع سمة واحدة واردة في الطراز (مسألة صفات وشخصيات الزرايب)
- الطراز هو أفضل مايمثل المقولة، ويعرف على نحو إحصائي بنسبة تواتره في الذكر.
- مقولة العبودية في الرواية هي الأكثر إطرادا، وهي التي تمثل الخصائص الطرازية كلها.
- كل شخصية بمثابة عينة من مجتمع العبيد ممثلة حسب درجة انتمائها للعبودية.
- لا تمثل العبودية درجة احتواء، ولكن كل من في إطارها تحتويه هذه التجربة.
- الطراز ليس شيئا يحصل في الخارج ويمثل المقولة أفضل تمثيل، لكنه صورة ذهنية وقالب جامد يقرن بالكلمة التي توافقه في المقولة.
- كل شخصية من العبيد يشترك على الأقل بصفة من صفات العبودية.
- حالات الخروج من الإطار في نموذج الاشتغال تمثل فيما يعرف بالبوروي وهو حالة غضب الإنسان الأسود وهيجانه.
- ليس هناك عنصر أهم من العناصر الأخرى في المقولة، وتتشرك العناصر مع بعضها، ويحدد درجة انتمائها للمجموعة امتلاكها أكبر قدر من صفات المجموعة.
- تجربة الرق والعبودية تجربة ثقافية، وهي تجربة من عالمانا، (استغلال الكاتبة ذلك في حادثة مقتل الطفل الرضيع)
- الرواية بموقلتها طرازات الأشياء استطاعت بناء أشكالها التي بواسطتها أمكننا تحديد كل بعد من أبعاد مأساة العبيد.

. لغة الرواية مثلت الكيفية التي بنيت عليها الذات البشرية، والقدرة على تأويل عالم العبودية، وتجربة الرق، وهي التي أنطقت اللغة، فهي ثمرة خيال خصب حيث استطاعت تمثيلها وكأنها فعلا موجودة.

- الرواية بنت على تصور عام ينطلق من تصور ذهني، ليس بالضرورة يكون متوافقا مع التصور الذي يتبناه المتلقي، أي بين اللغة والعالم.

الرواية ألغت الحد الفاصل بين ما هو حقيقي وما هو تخيلي في عالم السرد.

الرواية مثلت تصورا بنائيا تكفل به الراوي، الذي لا يحاول الكشف عن عالم العبودية بقدر ما هي حالة بناء لعالمها التصوري من خلال شخصية رئيس يرفدها أعوان.

- خلقت الرواية واقعها، ومن خلاله يستطيع المتلقي فهم تجربة العبودية لتصبح واقعا عميقا يحدث تغييرا في النسق التصوري لموضوعها، وبالنسق العام فتدخل تصورات ثقافية جديدة تحاول ردم وإخفاء القديمة منها.

. الإبداع بنية نسقية تصويرية يحاول تغيير ما هو واقعي بكيفية ندرك بها القضايا من حولنا.

. الرواية صنعت نسقيتها التي تنتظم تحتها مبادئ تحدد العلاقة التصويرية وعلاقتها بالأنساق الدالة على العموم نسق عام العبودية وقوانينها، ونسق فرعي حياة العبيد في الزرائب، والعلاقات البنينة داخل مجتمع الزرائب.

- التصورات في الرواية هي المولد للدلالات داخل الرواية، ليس للنسق العام (العبودية) إمكانية نظمها من قبل.

. لا تخرج الرواية من النسق العام الأمر الذي منحها معجما خاصا، بدأ من عنوان الرواية وأسماء الفصول، وتوظيف التراث.

. الرواية كيان تصوري مستقل دال على كيان تصوري آخر، بمعنى العبودية ككيان تصوري ثقافي والرواية ككيان نموذج مستحدث، (الحقيقة والخيال) العبودية في بعدها الحقيقي التجريبي، وتمثلاتها في الرواية.

- أمكن من خلال الرواية الوصول إلى نتائج تمثل العبودية في قهرها للإنسان والعبث بكرامته، وانتهاك جسده وأدميته.

- . السلم الطرازي بإمكانه رصد النماذج المختلفة لحالات العبودية، وكل نموذج من الشخصيات يمثل نمودجا منفردا يفتك أمرًا مشتركًا ربما يكون واحدا من الطراز الجامع وهو العبودية.
- . تفصح الرواية المجال للعناصر مجتمعة أن تقدم السمات التي تجعل من الرواية نمودجا مرتبطا بكيان تاريخي ثقافي.
- . التصورات في النص هي التي سهلت على المتلقي التعرف على الكيان الأساس من خلال العناصر وتصنيف الكيانات داخل الحقل.
- . عنوان الرواية وفق النحو العرفاني لا يخرج عن كونه تصورا، وهو بدوره يحيل إلى مجموعة من المعارف المتحصلة حول مكوناتها التركيبية، وهو الذي يؤسس الكيان.
- التركيب النحوي للعنوان قدم جسرا لنقل المعلومات التي من خلالها نخلق التصورات (الكم + المادة).
- . التركيب اللساني في الرواية لا يعدو أن يكون تأويلا للتصور الذي بدوره يتبع الثقافة، وكيفية تجسدا في هذا العالم.



المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

- نجوى بن شتوان، زرايب العبيد، دار الساقى، بيروت، 2016.

ثانياً المراجع العربية والمترجمة:

- أن رويول، وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دقفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
- أن رويول وجاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة خالد ميلاد، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، 2010.
- جورج لايكوف، نساء ونار وأشياء خطيرة: ما تكشفه المقولات حول الذهن، ترجمة عفاف موقو من كتاب إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين مختارات معربة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، 2012.
- جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد الحميد جحفة، دار توبقال للنشر، ط2، الدار البيضاء، 2009.
- راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ترجمة عبد الرزاق بنور، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا.
- رفيق بن حمودة، الوصفية مفهومها ونظامها في النظرية اللسانية، دار محمد علي، ط1، تونس، 2004.
- وليام كروفت، الأنماطية والكليات، ترجمة سمية المكي، مراجعة هشام الريفي، المركز الوطني للترجمة، دار سناترا، تونس، 2015.
- عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية مقارنة معرفية، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء.

- عبد السلام عيساوي، الأبعاد التأويلية والمفهومية للدلالة المعجمية، مركز النشر الجامعي، منوبة، 2009.
- عفاف موقو، دور الفضاءات الذهنية في تنشيط الأطر الدلالية للغة، ضمن كتاب، قضايا المعنى في التفكير اللساني والفلسفي، إشراف عبد السلام عيساوي، محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2009.
- محمد غاليم، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1978.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط3، د.ت.

ثالثاً المراجع الأجنبية:

- Eco Umberto, 1976. *Theory of Semiotic*, h.k.dian University Press.
- Fillmore Charles J, 1982, *Frame Semantics in Linguistics Society of Korea*.
- Fauconnier Gilles, and Tunner Mark 2002, *The Way we Think conceptual blending*, Basic Books.
- Greenberg Joseph. H, 1966, *Language Universals with Special Reference to Feature Hierarchies*, Janua Linguarum, Series Minor 59, The Hague, Mouton.
- Jackendoff. R, 1985, *Information is in The Mind of The Beholder*, *Linguistic and Philosophy*.
- Lakoff George, 1985, *Women Fire and Dangerous Things What Categories Reveal about the Mind*, The University of Chicago Press.
- Lakoff. G and Johnson. M, 1980, *Metaphors we live*, by University of Chicago Press.
- Myrphy, G.L and Meden, D.L, 1985, *The role of Theories in Conceptual Coherence*, Psychology Review.
- Rosch, Eleanor, 1979, *Principes of Categories Categorization In Cognition and Categorization*, N.J Lawrence Erlbaum Association.
- Saddock. J. M , 1979, *Figurative Speech and Linguistics*, Ortong.
- Ortony. A, 1979, *Metaphor, Amultidimensiol Problem*, Cambridge University Press.

